مِن أجل ثقافة شيعية أصيلة

قُرآنُنا

عبدُ الحليم الغِزّي

منشورات موقع زهرائيون

قُـرآنُنـــا

برنامج تلفزيوني عرضته قناة المودّة الفضائية

في تسعة وعشرين حلقة وبطريقة البث المباشر

ابتداءاً من تاريخ : 13 / 03 / 2010

يـــا زهـــــراء

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ صَلي على مُحمَّدٍ وآلِ مُحمَّد وعَجل فَرَجَهُم والعن أعدائهم

اللَّهُمَّ صَلي على فَاطِمَة وأبيها وبَعلِها وبَنيها والسرِّ المُستَودعِ فيها

الحلقة السابعة عشر

تفسير سورة البقرة من الآية ١٢٧ الى الآية ١٣٨

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته وأسعد الله أيامكم فنحنُ نعيش يوماً آخر من أيام آل مُحَمَّدٍ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عيد مولد سيدنا أبي الحسن عليٍّ الأكبر صلوات الله عليه وعلى آبائه الأطيبين الأطهرين، وهذه الحلقة السابعة بعد العاشرة من برنامج قرآننا ولا زال الكلام متواصلاً في سورة البقرة المباركة حيثُ وصلنا في آخر الحلقة الماضية إلى الآية السادسة والعشرين بعد المئة:

﴿ وَإِذ قَالَ إِبرَاهِيمُ رَبِّ اجعَل هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارزُق أَهلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَن آمَنَ مِنهُم بِاللَّهِ وَاليَومِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئسَ المَصِيرُ ﴾ تمَّ الكلامُ في هذه الآية، نشرعُ في الآية السابعة والعشرين بعد المئة ﴿ وَإِذ يَرفَعُ إِبرَاهِيمُ القَوَاعِدَ مِنَ البَيتِ وَإِسمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّل مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ﴾ الآيات التي مرت والآيات التي بين أيدينا الآن تتحدث عن جوانب من قصة إبراهيم عليه السلام من قصة النبوة والإمامة والتوحيد، مرَّ علينا في الآيات الماضية كيف أن إبراهيم وصل إلى أعلى مرتبةٍ من مراتب الإيمان واليقين والمعرفة حين وصل إلى مرتبة الإمامة ولا زال الحديث متواصلاً ﴿ وَإِذ يَرفَعُ إِبرَاهِيمُ القَوَاعِدَ مِنَ البَيتِ وَإِسمَاعِيلُ ﴾ وهذا الكلام إنما جاء بعد وصول إبراهيم إلى مرتبة الإمامة لأنه نال مرتبة الإمامة في آخر عمرهِ وبعد أن رزقه الله بالذرية، القواعد ما المراد من القواعد؟ القواعد جمعٌ لقاعدة القواعد المراد منها أسس البناء وإنما قيل لأسس البناء قواعد لأنها أول ما تقعد على الأرض من البناء حينما يبدأ الباني أو البنَّاءُ ببناء شيءٍ ما فأول شيءٍ يضعهُ على الأرض يسمى بالقواعد لأنه يقعد على الأرض وبعد ذلك تأتي بقية البناء تقعد على هذا القسم الذي قعد على الأرض فالقواعد هي الأسس سميت بالقواعد لأنها أول شيءٍ يقعدُ على الأرض ويلامس الأرض وذلك هو أساس البناء.

﴿ وَإِذ يَرفَعُ إِبرَاهِيمُ القَوَاعِدَ مِنَ البَيتِ ﴾ القواعد هي الأسس المراد من رفع القواعد هو إعلاء البناء باعتبار

أن الباني أول ما يضع يضع الأسس وهي القواعد ثم يبدأ يضع شيئاً فشيئاً فوقها حتى يرتفع البناء ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ فهذا البيت بيت إبراهيم وبيت إسماعيل واللذان رفعا قواعد هذا البيت هما عليهما السلام الآية فيها التفاتة دقيقة جداً ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ الآية هنا وصفت لنا الكيفية التي بنى بها إبراهيم وإسماعيل البيتَ بنحوٍ مجمل وتحدثت عن حالهما وعن قالهما عن حالهما يعني عن الحالة النفسية وعن قالهما يعني عن قولهما عن الشيء الذي كانا يقولانه.

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا﴾ الآية لم تذكر لنا لفظةً تبين لنا أن هذا الشيء قد قالاه يعني الآية ما قالت هكذا وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل وهما يقولان ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم الآية ما جاءت بأي لفظة وإنما مزجت بين فعلهما وبين قولهما وفي ذلك إشارة إلى أنهما كانا يعيشان حالة منسجمة بين القول والعمل فكانت عبادتهما في نفس العمل وفي نفس القول ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ وهما يعيشان الروحانية في أعلى درجاتها فكأن قولهم هو عملهم وكأن عملهم هو قولهم لذلك لا يوجد فاصل هنا بين القول والعمل ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ ولم يَرِد ذكرٌ لنوع العمل لأن النبيين كانا في حال احتقارٍ واستصغارٍ لعملهما ولِما يقومان به من عملٍ في جنب الله سبحانه وتعالى الآية إذاً فيها جملة من الإشارات من إشارات هذه الآية هو فناء القول في العمل وفناء العمل في القول وهذه حالةٌ من حالات الأنبياء هذا المعنى يمكنني أن اصفهُ بشيءٍ من الألفاظ لكن هذه الحقيقة لا أستطيع أن أعيشها أو أن يعيشها أمثالي هذه إشاراتٌ هذه تلميحاتٌ في آيات الكتاب قد نستدل من خلالها على مثل هذه المعاني الدقيقة وعلى مثل هذه المضامين الجليلة.

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ من دون أي لفظةٍ ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ أمتزج القول مع العمل واختلط العمل مع القول وذلك يعبر عن الحالة النفسية المستقرة وهي حالة الاطمئنان في جنب الله سبحانه وتعالى، ثم إنهما لم يذكرا شيئاً عن نوع العمل وذلك أنهما لا يجدان قد قاما بشيءٍ وما عندهما من شيءٍ فهو من فضله سبحانه وتعالى لأنهُ ما من خيرٍ عند الأنبياء وعند غير الأنبياء إلا وهو من فضلهِ

العميم ﴿ وَإِذ يَرفَعُ إِبرَاهِيمُ القَوَاعِدَ مِنَ البَيتِ وَإِسمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّل مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ﴾ ما كانا يقومان به ليس هو بناءً لأحجارٍ وليس هو بناءً لبيتٍ بمعنى البيت ما كانا يقومان به هو تأسيسٌ لرمزٍ وهذا الرمز هو رمزٌ يشير إلى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم لذلك كان يقولها صلى الله عليه وآله أنا دعوة إبراهيم، دعوة إبراهيم يعني الشيء الذي كان يريدهُ من الله سبحانه وتعالى إبراهيم في أعلى مراتبهِ كانت دعوته الأولى والأخيرة ماهي؟ دعوتهُ الأولى والأخيرة مُحَمَّد.

إبراهيم لَمَّا بلغ إلى أعلى رُتَب الإيمان ولَمَّا زاد الله في ناظرهِ وآراهُ ملكوت السماوات وانكشفت له العوالم الخفية العوالم العالية العوالم النورية البعيدة عن مشاعر وعن أحاسيس وعن أنظار البشر لَمَّا تكشفت له تلكم الحقائق وكان في المرتبة العليا من المراتب البشرية من مراتب الإيمان واليقين ماذا كانت دعوتهُ؟ الدعوة التي كان يلهج بها الدعوة الأولى والأخيرة مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم لذلك كان يقول نبينا الخاتم أنا دعوة إبراهيم، فهذا البناءُ بناءٌ لرمز وليس بناءً لأحجار ما قيمة الأحجار؟! قيمة الأحجار في دلالتها المعنوية، الدلالة المعنوية لهذا البيت هي دلالة تشير إلى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم والذبيحة التي ذُبحت الذبيحة المعنوية، الذبيحة المعنوية كانت إسماعيل الذبيحة المعنوية نبيٌ من الأنبياء الذبيحة المعنوية هو جَدُّ رسول الله، جَدُّ رسول الله صلى الله عليه وآله إسماعيل هو الذبيحة المعنوية لهذا الرمز الذي بناه إبراهيم وإسماعيل هذا الرمز الذي يشير بكل دلالالتهِ إلى حقيقةٍ واحدة هي الحقيقة الأعظم بعد الله في هذا الوجود حقيقة مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿ وَإِذ يَرفَعُ إِبرَاهِيمُ القَوَاعِدَ مِنَ البَيتِ وَإِسمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّل مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ﴾ فإبراهيم وإسماعيل كانا يعيشان هذا المعنى يعيشان معنى العبودية ومعنى الطاعة ومعنى بناء هذا الرمز ومعنى الإشارة إلى مُحَمَّد، إبراهيم وإسماعيل كانا يعيشان في هذه الأجواء في أجواء مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد صلوات الله عليهم، هذا هو حال إبراهيم في حال البناء وفي حال الدعاء وفي حال العبادة ﴿ وَإِذ يَرفَعُ إِبرَاهِيمُ القَوَاعِدَ مِنَ البَيتِ وَإِسمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّل مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجعَلنَا مُسلِمَينِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُب عَلَينَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ هذه الآية الثامنة والعشرون بعد المئة لا زال دعاء إبراهيم وإسماعيل متواصلاً وهو دعاء الحال والقال، دعاءٌ بالألفاظ يقولونها ودعاءٌ بالحال وبالعمل هذا الدعاء متواصلٌ مع بناء هذا الرمز مع رفع قواعد هذا الرمز ﴿ رَبَّنَا وَاجعَلنَا مُسلِمَينِ لَكَ ﴾ هنا إبراهيم قد بلغ مرتبة الإمامة وهنا إبراهيم في مقام الطاعة والعبودية الكاملة بالنسبة لمقامهِ وهنا إبراهيم مع ولده إسماعيل وهما يعيشان هذه النفحة الربانية

فماذا يطلبان؟ ﴿رَبَّنَا وَاجعَلنَا مُسلِمَينِ﴾ فهل الإسلام هذا هو الذي يُقال في الفقه قول الشهادتين الشهادة الأولى والشهادة الثانية والتي يُصان بها دم الإنسان قطعاً هذا الإسلام إسلامٌ آخر، أنت تصور معي إبراهيم وقد نال مرتبة الإمامة وإبراهيم وهو في تلكم الحالة النورية في بناء القواعد في بناء الأسس للرمزية المُحَمَّدية المتمثلة بالكعبة في تلكم الحالة حيث امتزج العمل بالقول وامتزج الدعاء بالعبادة العملية وهما يطلبان ماذا يطلبان؟

﴿رَبَّنَا وَاجعَلنَا مُسلِمَينِ لَكَ﴾ إسلامٌ لله سبحانه وتعالى ليس هذا هو معنى الإسلام الفقهي هو القول بالشهادتين التشهد الأول والتشهد الثاني وبهما يحفظ دم المرئ يقال لهذا المرئ بأنهُ قد أسلم، الحديث ليس عن هذا الإسلام بهذا المعنى الحديث عن إسلام بمعنىً أعمق الحديث عن الإسلام الحقيقي الحديث عن الآية القرآنية ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسلاَمُ﴾ الدين الحقيقي هو دينُ مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد وما كان من أديان عند البشرية منذ زمان آدم وإلى زمان نبينا إنما هي تجلياتٌ من دين مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وتمهيدٌ لمرحلة ظهور دين مُحَمَّدٍ، تتناسب تلكم الظهورات مع مراتب ترقي العقل البشري عبر التأريخ العقل البشري كانت له مراتب وحالات للترقي حتى وصلت الحالة من الترقي في بعثة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، لذلك نحن نجد إن معاجز الأنبياء في الأمم السالفة كانت تخاطب ربما تخاطب الوجدان في جانبٍ منها أو كانت تخاطب المشاعر أو تخاطب الحواس أو تخاطب أشياء أخرى من قوى الإدراك البشري لكن القرآن معجزة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله جاءت هذه المعجزة وهذه الرسالة تخاطب العقل والبصيرة وخطاب القرآن للعقل والبصيرة يكشفُ عن ارتقاء المخلوق البشري إلى الرتبة المتكاملة نعم هناك التكامل الأعظم للعقل والبصيرة يكون في زمان ظهور إمامنا الحجة صلوات الله وسلامه عليه حين يمسح على رؤوس العباد فيجمع بها عقولهم فالإسلام هنا إسلام مُحَمَّدٍ وآل محمَّد ليس هذا الإسلام الفقهي الذي نلقلق به.

﴿رَبَّنَا وَاجعَلنَا مُسلِمَينِ لَكَ﴾ نحنُ لا نقول عن أنفسنا بأننا مسلمون لله نقول عن أنفسنا بأننا مسلمون وكفى ﴿رَبَّنَا وَاجعَلنَا مُسلِمَينِ لَكَ﴾ الإشارة إلى نفس الآية التي ستأتينا وهي الآية الحادية والثلاثون بعد المئة ﴿إِذ قَالَ لَهُ رَبُّهُ﴾ قال له قال لإبراهيم ﴿إِذ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسلِم قَالَ أَسلَمتُ لِرَبِّ العَالَمِينَ﴾ أسلمت لربِّ العالمين هذا الإسلام إسلامُ المعرفة هذا الإسلام إسلامُ اليقين هذا الإسلام إسلامُ العقلِ والروح والوجدانِ والحواس فإنهُ يُسلم كل وجودهِ كما جاء في حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أسلم شيطاني، لأنهُ في رواياتنا ما من إنسان إلا وله شيطان النبي في مرحلته الإنسانية له شيطان لكن ماذا وصفهُ النبي صلى الله

عليه وآله قال أسلم شيطاني أسلم شيطاني ليس بمعنى الإسلام الفقهي وإنما أسلم النبي صلى الله عليه وآله بكل وجودهِ وبكل شؤوناتهِ ومتعلقاتهِ فمن جملة شؤوناتهِ البشرية وجود هذا الشيطان هذا الشيطان أسلم وجودهُ أسلم وجوده لله سبحانه وتعالى، مُحَمَّدٌ بكل شؤوناتهِ أسلم لله بكل مظاهرهِ بكل ما يتعلق به لذلك قال صلى الله عليه وآله أسلم شيطاني، أسلم شيطاني لا بمعنى الإسلام الفقهي وإنما بمعنى الإسلام الذي يشير إليه إبراهيم في درجةٍ من درجاتهِ، قطعاً إسلام مُحَمَّدٍ مرتبته لا يُقاس بها إسلام أي نبيٍ من الأنبياء وإنما إسلام الأنبياء هو من تجليات إسلام مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وأقول مرةً أخرى مرادي من الإسلام ليس الإسلام الفقهي لَمَّا قال إبراهيم ﴿أَسلَمتُ لِرَبِّ العَالَمِينَ﴾ أسلم وجودهُ وكيانهُ وعقلهُ وكل ذرةٍ من ذراتهِ أسلمت، أسلمت أي أنها فنت أي أنهُ لم يبقى لها وجودٌ من حيث هو إبراهيم وإنما وجودها من حيثُ هو إبراهيم قد أسلم لله وجودها من حيث الله سبحانه وتعالى لا من حيث نفس إبراهيم.

﴿رَبَّنَا وَاجعَلنَا مُسلِمَينِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسلِمَةً لَّكَ﴾ هذه الأُمَّة ليس كما يذهب المخالفون ومن تبعهم حتى من مفسري الشيعة من أن المراد من هذه الأُمَّة المسلمة مراد يعني من أعلنوا الإسلام بقول الشهادتين يعني أنا وأنت وسائر الناس ممن هم على دين الإسلام ﴿رَبَّنَا وَاجعَلنَا مُسلِمَينِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا﴾ هذه الذرية المقصودة هنا نفس الذرية التي مرت علينا ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهدِي الظَّالِمِينَ﴾ هذه الذرية هي نفس الذرية التي جاءت في عهد الإمامة ﴿رَبَّنَا وَاجعَلنَا مُسلِمَينِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسلِمَةً﴾ لأن كلمة الأُمَّة لا يعني أنها تدل على الأعداد الكثيرة فقد استعملت في القرآن الكريم مثلاً على سبيل المثال جاءت كلمة الأُمَّة في سورة النحل بأي استعمالٍ؟ في الآية العشرين بعد المئة ﴿إِنَّ إِبرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلّهِ حَنِيفًا وَلَم يَكُ مِنَ المُشرِكِينَ﴾ هذه الآية العشرون بعد المئة من سورة النحل المباركة ﴿إِنَّ إِبرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلّهِ﴾ فجاء استعمال الأُمَّة في شخصٍ واحد في نبيٍ واحد في إبراهيم فلا توجد هناك ضرورة أن نستعمل كلمة الأُمَّة في الأعداد الكثيرة من الناس هنا استعملها القرآن في فردٍ واحد وهو إبراهيم ﴿إِنَّ إِبرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلّهِ﴾ .

مثلاً إذا أردنا أن نذهب إلى سورة هودٍ عليه السلام في الآية الثامنة والأربعين والآيةُ في سياق قصة نوحٍ عليه السلام ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهبِط بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُم ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ

أَلِيمٌ﴾ كل الذين كانوا في سفينة نوح كلهم كانوا ثمانين شخص مع ذلك الآية تعبر عن هؤلاء الثمانين أنهم أمم ربما يكون شخص واحد تعبر عنه الآية بأنهُ أُمَّة أو شخصان أو ثلاثة ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهبِط بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ قد يقول قائل بأن الأمم ليس فقط هنا الحديث عن الناس ربما حتى عن الحيوانات لأن القرآن في سورة الأنعام تحدث عن الحيوانات وبيّن أنها أمم في الآية الثامنة والثلاثين من سورة الأنعام ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمثَالُكُم﴾ يعني عُبِّر عن الطيور عن الحيوانات عن مجاميع الدواب بأنها أمم ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمثَالُكُم﴾ هذا الكلام صحيح لكن لا ينطبقُ على الآية التي نحن بصددها في قصة نوح عليه السلام ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهبِط بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُم﴾ الحديث عن الناس وعن يوم القيامة وعن العذاب ﴿وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُم ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ حديث عن الأمم البشرية ليس الحديث عن أمم الحيوانات فهنا في هذه الآية في قصة نوحٍ من سورة هود عُبّر عن ثمانين شخص بأنهم أمم يعني ربما كل عائلة كل أسرة ربما شخص مع زوجتهِ عُبّر عنه هنا بالأُمَّة ﴿اهبِط بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ كل عائلة عُبّر عنها بأنها أُمَّة.

فهناك كما مرَّ علينا في سورة النحل عُبّر عن إبراهيم بأنهُ كانت أُمَّة قانتاً لله وهنا عُبّر عن عوائل مجموعة أفراد كانوا مع نوح بأنهم أمم لذلك ما جاء في التعبير القرآني هنا ﴿رَبَّنَا وَاجعَلنَا مُسلِمَينِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسلِمَةً لَّكَ﴾ والتعبير جاء مسلمة لك يعني الإسلام الذي تحدثت عنه قبل قليل ليس الإسلام الفقهي هذا الإسلام الذي لا يلابسهُ الظُلم كما مرَّ علينا ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهدِي الظَّالِمِينَ﴾ هذا الإسلام الذي لا يلابسهُ الظلم هذا الإسلام الذي هو بمعنى العصمة ﴿رَبَّنَا وَاجعَلنَا مُسلِمَينِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسلِمَةً لَّكَ﴾ نحن نقرأ في سورة آل عمران في الآية العاشرة بعد المئة ماذا نقرأ؟ ﴿كُنتُم خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَت لِلنَّاسِ تَأمُرُونَ بِالمَعرُوفِ وَتَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ وَتُؤمِنُونَ بِاللّهِ﴾ هل كما يقول المخالفون هذه الأُمَّة هي كل أولئك الذين لقلقوا بالشهادتين فلنقرأ ماذا يقول أئمتنا المعصومون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، الرواية مروية عن

الإمام الصادق في تفسير علي بن إبراهيم والذي يروي الرواية ابن أبي عمير عن ابن سنان – **قال: قُرِأت عند أبي عبد الله عليه السلام** ﴿كُنتُم خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَت لِلنَّاسِ﴾ **إلى آخر الآية** ﴿تَأمُرُونَ بِالمَعرُوفِ وَتَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ وَتُؤمِنُونَ بِاللّهِ﴾ **فقال أبو عبد الله عليه السلام: خير أُمَّة يقتلون أمير المؤمنين والحسن والحسين ابني عليٍّ عليهم السلام؟!** – هي هذه الأُمَّة خير أُمَّة؟! مقتل عليٍّ والحسن والحسين أُسِسَ له في السقيفة، قُتِل الحسين وقُتِل الحسن وقُتل عليٌّ وقُتِل الأئمة في السقيفة – **خير أُمَّة يقتلون أمير المؤمنين والحسن والحسين ابني عليٍّ عليهم السلام؟ فقال:** – القارئ – **جُعِلتُ فِداك كيف نزلت؟** – هذه قراءة لأهل البيت – **قال: نزلت كنتم خير أئمةٍ أخرجت للناس ألا ترى مدح الله لهم** – كيف مدحهم؟ ﴿تَأمُرُونَ بِالمَعرُوفِ وَتَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ وَتُؤمِنُونَ بِاللّهِ﴾ .

الكلام هنا خير ماذا يعني في لغة العرب يعني أخير أُمَّة فأخير أُمَّة لابد أن تكون قد بلغت أعلى رتبة في أمرها بالمعروف وأعلى رتبة في نهيها عن المنكر وأعلى رتبة في الإيمان بالله، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يمكن أن يكون في أعلى رتبة ما لم يكن هناك علمٌ في أعلى رتبة نحن حتى في الكتب الفقهية حينما نتحدث عن شرائط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يشترط للآمر والناهي أن يكون عالماً بالشيء الذي يأمر به وبالشيء الذي ينهى عنه وإلا سيقع الناس في خبطٍ وشماس إذا كان كل واحد من دون علم يأتي فيجعل من نفسه آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر فإنهُ قد يأمر بالمنكر وقد ينهى عن المعروف، أول شرطٍ وأول أساسٍ لتنفيذ هذا الأمر لتنفيذ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو العلم فإذا كانت هذه الأُمَّة هي خير أُمَّة يعني الأخير، خير كلمة خير في الأصل أخير يعني على صيغة أفعل للتفضيل ولكن للتخفيف تحذف الهمزة فيُقال خير ﴿كُنتُم خَيرَ أُمَّةٍ﴾ يعني كنتم أخير أُمَّة الأُمَّة الأخير لابد أن تكون هي الأفضل والأعلى رتبة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله لأن الآية هكذا تقول ﴿كُنتُم خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَت لِلنَّاسِ﴾ للناس طُراً من البداية إلى النهاية ﴿تَأمُرُونَ بِالمَعرُوفِ وَتَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ وَتُؤمِنُونَ بِاللّهِ﴾ لابد أن تكون هذه الأُمَّة أفضل من كل الأمم السابقة وفي الأمم السابقة الأنبياء فأيُّ أُمَّة هذه التي تكون هي أفضل من الأنبياء وأيُّ أمرٍ بالمعروف وأيُّ نهيٍ عن المنكر وأيُّ إيمانٍ بالله هو أفضلُ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله الذي كان عليه الأنبياء لابد أن تكون هذه الأُمَّة على أعلى درجة من العلم والمعرفة ومن العصمة الكاملة وذلك لا يكون إلا في آل مُحَمَّد سواء قرأنا: كنتم خير أئمة، كما في هذه

الرواية، والإمام هنا يتحدث عن معنى الآية لَمَّا يقول نزلت يعني نزلت ومعناها هكذا وإلا نحن مأمورون أن نقرأهُ كما هو مكتوب في المصحف، كما هو مكتوبٌ في المصحف ﴿كُنتُم خَيرَ أُمَّةٍ﴾ والأُمَّة قد تُطلق على رجلٍ واحد كما مرَّ علينا قبل قليل في شأن إبراهيم عليه السلام – ألا ترى مدح الله لهم – الله يمدحهم بهذه الأوصاف ﴿تَأمُرُونَ بِالمَعرُوفِ وَتَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ وَتُؤمِنُونَ بِاللّهِ﴾ هذه الأوصاف لا تكون إلا في الأُمَّة الأعلى رتبة، الأُمَّة الأعلى رتبة مُحَمَّدٌ وآل محمَّد.

الرواية الثانية ينقلها السيد هاشم البحراني من تفسير العياشي، عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه في معنى هذه الآية، **قال: هم آلُ مُحَمَّد** ﴿كُنتُم خَيرَ أُمَّةٍ﴾، هم آلُ مُحَمَّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، رواية أخرى عن إمامنا الصادق في معنى هذه الآية – **قال: يعني الأُمَّة التي وجبت لها دعوة إبراهيم** – الكلام واحد متناسق تلاحظون القرآن وحديث أهل البيت بعضهُ يشد البعض القرآن مع حديث أهل البيت يأتي كالبنيان المرصوص القرآن مع حديث أهل البيت تتضح من خلالهما الصور والعلم الذي لا يعطينا وضوحاً ولا يعطيكم وضوحاً فلا فائدة فيه والعالِم الذي لا تُحَصِّلون منه الوضوح فلا فائدة في علمهِ لأن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم مركز الوضوح هم نور الله في السماوات والأرض وهل هناك من شيءٍ أوضح من النور أهل البيت هم مركز الوضوح العلم الذي لا يعطينا الوضوح هذا علمٌ لا فائدة فيه هذا علمٌ لا ينفع والعالم الذي لا يعطينا الوضوح هذا عالِمٌ لا نفع في علمهِ هو ليس بقادرٍ على أن ينفع نفسه لأنهُ لَمَّا لم يكن قادراً على إعطاء الوضوح هذا يعني أن الصورة ليست واضحةً عنده وفاقد الشيء لا يعطيه وعالم لا وضوح له ما هو بعالم الناس تسميه عالم هذا جاهل لأن العلم هو الوضوح والوضوح لا يتجلى إلا من خلال الممازجة بين الكتاب والعترة ماذا يقول إمامنا الصادق – **يعني الأُمَّة التي وجبت لها** – يعني هذه الآية {كُنتُم خَيرَ أُمَّةٍ} الإمام يقول – **يعني الأُمَّة التي وجبت لها دعوة إبراهيم عليه السلام فهم الأُمَّة التي بعث الله فيها ومنها وإليها وهم الأُمَّة الوسطى وهم خيرٌ أُمَّةٍ أُخرِجت للناس** – الأُمَّة الوسطى النمرقة الوسطى كما يقع في عبارات أمير المؤمنين.

أهل البيت هم النمرقة الوسطى هم الأُمَّة الوسطى هم الجادة الوسطى وخيرُ الأمور أوسطها خيرُ الأمور خير الأديان خيرُ العقائد، أوسطها لأنها تعود إلى الأُمَّة الوسطى لأنها تعود إلى الجادة الوسطى إلى جادة عليٍّ وآل عليٍّ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، الأُمَّة هذه التي هي خير أُمَّة – **قال يعني الأُمَّة التي وجبت لها دعوة إبراهيم عليه السلام فهم الأُمَّة التي بعث الله فيها ومنها وإليها وهم الأُمَّة الوسطى وهم خيرٌ**

أُمَّةٍ أُخرِجت للناس – فإذاً الآية في سورة آل عمران ﴿كُنتُم خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَت لِلنَّاسِ تَأمُرُونَ بِالمَعرُوفِ وَتَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ وَتُؤمِنُونَ بِاللّهِ﴾ هذه الأُمَّة هي الأُمَّة التي جاء ذكرها في هذه الآية ﴿رَبَّنَا وَاجعَلنَا مُسلِمَينِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسلِمَةً لَّكَ﴾ هذه هي نفسها نفس هذه الأُمَّة.

في سورة إبراهيم يسألون الإمام الصادق عليه السلام ما الدليل على أن الأُمَّة المسلمة المذكورة في هذه الآية هم آل مُحَمَّد؟ ما الدليل على ذلك؟ الدليل يأتينا في سورة إبراهيم، في سورة إبراهيم يأتينا الدليل واضحاً، هنا في سورة البقرة ﴿رَبَّنَا وَاجعَلنَا مُسلِمَينِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسلِمَةً لَّكَ﴾ الآيات في سورة إبراهيم ماذا تقول؟ الآيات تقول ﴿وَإِذ قَالَ إِبرَاهِيمُ رَبِّ اجعَل هَذَا البَلَدَ آمِنًا﴾ مرَّ علينا هذا الكلام في الحلقة الماضية في الآية السادسة والعشرين بعد المئة ﴿وَإِذ قَالَ إِبرَاهِيمُ رَبِّ اجعَل هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارزُق أَهلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ وقلتُ بأن الإمام الصادق عليه السلام قال هذه الثمرات ثمرات القلوب ﴿وَإِذ قَالَ إِبرَاهِيمُ رَبِّ اجعَل هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارزُق أَهلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ قال صادق العترة إنها ثمرات القلوب هذا الدعاء هو نفسهُ الموجود هنا في سورة إبراهيم في الآية الخامسة والثلاثين ﴿وَإِذ قَالَ إِبرَاهِيمُ رَبِّ اجعَل هَذَا البَلَدَ آمِنًا﴾ تتمة الدعاء هنا تتضح ﴿وَاجنُبنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعبُدَ الأَصنَامَ﴾ من الذين لم يعبدوا الأصنام هل الأُمَّة؟ الأُمَّة الصحابة؟! الصحابة كلهم كانوا يعبدون الأصنام الحديث عن الأُمَّة التي جُنِّبت من عبادة الأصنام الحديثُ عن عليٍّ وآل علي هذه الأُمَّة ما معنى كَرَّمَ الله وجههُ في قول المخالفين؟ أليس هذه الكرامة لوجههِ الذي لم يسجد لصنم قط، هذه هي الأُمَّة التي جُنِّبت من عبادة الأصنام، الأُمَّة عليٌّ بعينهِ وقبل قليل قرأنا في سورة النحل ﴿إِنَّ إِبرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾ وعليٌّ كان أُمَّة قانتاً هذا هو لِسَانَ صِدقٍ عَلِيًّا دعوة إبراهيم، وعليٌّ هو مُحَمَّد ومُحَمَّدٌ هو علي صلى الله عليهما وآلهما الأطيبين الأطهرين ﴿وَإِذ قَالَ إِبرَاهِيمُ رَبِّ اجعَل هَذَا البَلَدَ آمِنًا﴾ هذه الآية الخامسة والثلاثون من سورة إبراهيم ﴿وَاجنُبنِي وَبَنِيَّ﴾ وَبَنِيَّ وإبراهيم هو والدُ عليٍّ وهو والد مُحَمَّد، عليٌّ هو ابن إبراهيم وأبو طالب هو ابن إبراهيم وعبد المطلب هو ابن إبراهيم ومرَّ علينا في برامج سابقة وفي لقاءات سابقة إن أبا طالب كان وصياً من أوصياء إبراهيم وهو من وُلدهِ وعبد المطلب كان وصياً وهكذا في سلالة أجداد رسول الله وأوصياء إبراهيم كلهم أنبياء كما تقول كلمات المعصومين

﴿ وَاجنُبنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعبُدَ الأَصنَامَ ﴾ تجنيب النبي وعلي ومن سبقهم من الأباء الطاهرين وكذلك والد رسول الله عبد الله عليه السلام تجنيبهم عبادة الأصنام الآية واضحة وصريحة الأُمَّة المسلمة هنا والأُمَّة التي جَنَّبها الله عبادة الأصنام هم مُحَمَّد وآل مُحَمَّد صلوات الله عليهم ﴿ وَإِذ قَالَ إِبرَاهِيمُ رَبِّ اجعَل هَذَا البَلَدَ آمِنًا وَاجنُبنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعبُدَ الأَصنَامَ ﴾ ولذلك كان مُحَمَّدٌ يقول أنا دعوة إبراهيم أي أن دعوات إبراهيم استُجيبت، استُجيبت هذه الدعوات في مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضلَلنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ﴾ يعني الذين عبدوا الأصنام كانوا على ضلال ومن كان على ضلال لن يكون إماماً للناس وإن اهتدى بعد ذلك ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضلَلنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ﴾ ثم يبين القانون ﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَن عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ من تبعني فإنهُ مني ﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيرِ ذِي زَرعٍ عِندَ بَيتِكَ المُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ ليقيموا الصلاة على أتم وجهها ومن يقيم الصلاة على أتم وجهها غير مُحَمَّد وآل مُحَمَّد هناك جهة أو مجموعة تقيم الصلاة على أتم وجهها إبراهيم هنا في حال مناجاتهِ مع الله هل يطلب صلاةً ناقصةً أم يطلب الصلاة على أتم مراتبها حين يقول ﴿ لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ إقامة الصلاة على أكمل مرتبة يطلبها إبراهيم وأين تكون هذه؟ هل تكون في غير مُحَمَّد وآل مُحَمَّد؟!

﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي ﴾ أيضاً من ذريتي ﴿ بِوَادٍ غَيرِ ذِي زَرعٍ عِندَ بَيتِكَ المُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجعَل أَفئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهوِي إِلَيهِم وَارزُقهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ من ثمرات القلوب واجعل أفئدةً من الناس تهوي إليهم وهل تهوي القلوب إلا إلى مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد ﴿ واجعَل أَفئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهوِي إِلَيهِم وَارزُقهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُم يَشكُرُونَ ﴾ إلى أن يقول ﴿ رَبِّ اجعَلنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾ الكلام كله عن الذرية ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾ لَمَّا يتحدث إبراهيم عن نفسهِ ألا يطلب أعلى مرتبة من مراتب الصلاة ﴿ رَبِّ اجعَلنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾ أيضاً يطلب المعنى الأعلى والأسمى كل هذا وغيرهُ من نصوص أخرى قد لا يسع المجال للتطرق إليها لأن الوقت قد مضى منه جزءٌ كبير وهناك روايات كثيرة تؤكد هذه المعاني جاءت عن المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كل ذلك يجعلنا في هذا الجو هذه أجواء مُحَمَّدٍ وآل محمَّد هذا

قرآنهم هذا القرآن قرآنهم والحديثُ عن إبراهيم جدهم وأبوهم والحديثُ عن البيت العتيق وهو بيتهم فلماذا حين تُفَسَّرُ هذه الآيات تُفَسَّرُ بعيداً عنهم؟! أليس هذا الجدُّ وهذا الوالد هو والدهم إبراهيم أبوهم والبيت العتيق بيتهم والقرآن قرآنهم والدين دينهم والولاية ولايتهم والربُّ ربهم لماذا حينما تُفَسَّرُ هذه الآيات تُفَسَّرُ في مكانٍ وفي وادٍ بعيدٍ عن مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد هذا هو التحريف للقرآن هذا هو معنى تحريف آيات الكتاب ﴿ رَبَّنَا وَاجعَلنَا مُسلِمَينِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾ أَرِنَا مناسكنا ماذا يقصد إبراهيم عليه السلام وإسماعيل أَرِنا مناسكنا هل هناك لوحةٌ إيضاحية تكون أمام إبراهيم يتعلم منها مثلاً مناسك الحج إذا كان الكلام عن مناسك الحج وإن كانت الآية لا تتحدث هنا عن مناسك الحج مناسك جمعٌ لمنسك والمَنسَك هو العبادة الحديث عن العبادات بكل مراتبها العبادات العملية العبادات الحالية القلبية العبادات القولية ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾ ما المراد أَرِنا مناسكنا؟ هل أن إبراهيم عليه السلام يطلب لوحةً إيضاحية بعد أن وصل إلى هذه المراتب العالية وبعد أن كان يدعو بهذه المعاني العميقة؟

أَرِنا مناسكنا أي أجعلنا في أعلى مراتب الإمامة من حيث هم هذا طلب لأن يكون في أعلى مراتب الإمامة هذا طلب للإراءة المحيطة أَرِنا مناسكنا يعني أن إبراهيم كان يأتي بعباداتهِ فهو لا يطلب أن يرى عبادتهُ بنفسهِ فهو عالِمٌ بعبادتهِ كما أني حين أقوم بأي عملٍ فأني عالِمٌ بما أقوم به من عمل أنا الآن حين أجلسُ هنا أمامكم وأتحدث فإني عالِمٌ بما أقوم به وهكذا كل شخصٍ هو عالِمٌ بما يقوم به، ألا يُقال بأن علم الإنسان بنفسهِ وبشؤونهِ علمٌ حضوري أصلاً المعلوم حاضر بنفسهِ عند الإنسان وهذه أعلى مراتب العلم فما المراد أَرِنا مناسكنا؟ الطلب هنا للإراءة المحيطة للإراءة الإحاطية والتي جاءت الإشارة إليها في سورة التوبة في الآية الخامسة بعد المئة ﴿ وَقُلِ اعمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُم وَرَسُولُهُ وَالمُؤمِنُونَ ﴾ الآية واضحة المؤمنون هل يرون أعمالنا الحديث أن الله يرى هذه الأعمال الله هو الأول الذي لا أولية لأوليته هو يرى أعمالي وأعمال الأمم السابقة وأعمال الأمم التي ستأتي ﴿ وَرَسُولُهُ ﴾ رؤيتهُ رؤية الله بحسب العطف الموجود في الآية يعني إن النبي يرى أعمال الأمم السابقة وأعمال الذين كانوا في أيامهِ ويرى أعمالنا وما سيأتي إذاً المؤمنون أيضاً هؤلاء يرون جميع الأعمال فمن هم هؤلاء المؤمنون؟ المعنى واضح المؤمنون الذين لهم الرؤيا الكاملة الرؤيا الإحاطية إحاطة ما سبق وما هو الآن وما سيأتي وإلا ما معنى هذه الآية؟ إذا كان المراد أن المؤمنين يرون أعمالنا يعني حينما أقوم بعمل في بيتي من يراني من المؤمنين؟! الحديث عن رؤية مطلقة إحاطة في الرؤيا: **وإن الله زاد في ناظر إبراهيم زاد في قوة ناظرهِ فرأى ملكوت السماوات**، الحديث عن

إحاطة في الإراءة، الآية واضحة لكن ماذا تفعل للعميان هؤلاء الذين أعمى الله قلوبهم وبصائرهم ماذا تصنع لهم الآية واضحة ﴿وَقُلِ اعمَلُوا فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُم وَرَسُولُهُ وَالمُؤمِنُونَ﴾ المؤمنون كيف يرون عملي؟ إذا كان الأفضل في العمل أن يكون في السر أليس العبادة يُفضَّل أن تكون في السر وأن لا تكون في العلن، أليس يُفَضَّل للإنسان أن يخفي زهدهُ كما يقول سيد الأوصياء أفضل الزهد إخفاء الزهد أليس صدقة السر أفضل من صدقة العلن وهكذا أليس الكتمان هو من أفضل درجات العبادة كتمان العبادة فكيف يرى المؤمنون عبادتي إذا كان المراد من المؤمنين أنا وأنت، كيف نرى عبادة غيرنا كيف نرى أعمال غيرنا والحديث عن كل عمل إذاً لابد من وجود قدرةٍ إحاطية إراءة إحاطية نفس الكلام الذي قالهُ سيد الشهداء حينما قال، ماذا قال؟ – **لا أعلم اصحاباً خيراً من أصحابي ولا أهل بيت أبر وأوصل من أهل بيتي** – في بعض الروايات لا أعلم وفي بعض الروايات لا أعرف والمعنى واحد بالنسبة للحسين المعنى واحد، بالنسبة لي حين أقول أعلم وأعرف يختلف المعنى هناك فارقٌ بين العلم والمعرفة بالنسبة لي ولك أما بالنسبة لحسينٍ وآل حسين فلا فارق بين أن يقول لا أعلم أو لا أعرف لا يوجد هناك فارق لا في الدلالة اللغوية ولا في الدلالة المعرفية حين يقول لا أعلم أو لا أعرفُ أو لا أرى أصحاباً، حينما يقول لا أرى وهناك في نسخةٍ لا أرى حينما يقول لا أرى إشارة إلى الرؤيا الإحاطية لِما كان وما هو كائن وما سيكون.

والآية هنا تشير إلى هذه الحقيقة الآية واضحة من هم المؤمنون الذين يملكون هذه الرؤيا يملكون رؤية الإحاطة ﴿وَقُلِ اعمَلُوا فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُم وَرَسُولُهُ وَالمُؤمِنُونَ﴾ هل من المنطقي أن يكون الله وحدهُ فقط يرى أعمالنا دائماً ورسول الله يراها بحسب زمانهِ فقط وما يكون أمام عينيه والمؤمنون عامة المؤمنين ومع ذلك تأتي الآية فتعطف رؤية رسول الله ورؤية المؤمنين على رؤية الله هل يعقل هذا هل يعقل هذا الكلام لأن حينئذٍ رؤية رسول الله ستكون محدودة إذا كانت مقيدة بزمانهِ وبالمقدار الذي يكون أمام عينيه وأما رؤية المؤمنين فالأمر معها أشد أكثر لأنها ستكون في غاية الضعف أضعف فهل يُعقل لرؤية المؤمنين بهذه الدرجة الضعيفة ولرؤية رسول الله المحدودة وهي بدرجة ضعيفة بحسب هذا الوصف تُعطف على رؤية الله لعمل المؤمنين لعمل الناس إذاً لابد أن تكون الرؤية موحدة رؤية الله ورؤية رسول الله ورؤية هؤلاء المؤمنين رؤيةٌ واحدة وتلك هي الرؤية الإحاطية وهنا إبراهيم يطلب في الدعاء أن يصل إلى هذه المرتبة، المرتبة التي تكون له فيها الإحاطة بحيث يكون رائياً بالرؤية الإحاطية لا بعلمهِ النفسي لنفسهِ بالرؤية الإحاطية التي يرى بها عملهُ وعمل غيرهِ هذا معنى ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ وإلا لا ينسجم الكلام العميق مع معانٍ سطحية إذا كان مُسلِمَين لك بذلك المعنى العميق وهو أعلى مراتب الإمامة إذا كان الكلام بهذا العمق فلابد أن يكون

الدعاء أيضاً بهذا العمق ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا﴾ وهذه التوبة ليست التوبة من الذنوب هذه قرينة أخرى فإبراهيم هنا لا يطلب التوبة من الذنوب إبراهيم معصوم هذه التوبة هي الرجوع ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ﴾ هذا رجوع النفس المطمئنة ورجوع الله إلى النفس المطمئنة ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ﴾ التوبة الرجوع ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ هذه الأجواء أجواء مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، إبراهيم هنا يسبح في أجواء محمَّدٍ وآل مُحَمَّد إبراهيم هنا يرفع قواعد الرمز القواعد هذه التي بناها رمزاً لِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد إبراهيم يسبحُ في هذا الجو والروايات تقول لَمَّا كُشِفَ لإبراهيم عن ملكوت السماوات فرأى أنواراً خمسة فسأل عنها وهذه رموز، هذه رموز ليست القضية بهذه البساطة وبهذه السطحية لكن الأئمة ماذا يصنعون؟ ماذا يصنعون مع هذه العقول القاصرة المحدودة من مثلي وأمثالي ماذا يصنعون كيف يتكلمون يقربون لنا هذه المعاني فرأى أنواراً خمسة فسأل عنها فَعُرِّف بالأنوار الخمسة وهم أصحاب الكساء ورأى أنواراً تسعة وتاسعها في ضحضاحٍ من نور والأنوار الأخرى محيطة به وهم ولد الحسين وهذا الذي في الضحضاح هو الذي سيأتي يوم مولده سراعاً قريباً في النصف من شعبان ذلك الذي في ضحضاحٍ من نور في هالةٍ نوريه واسعة الضحضاح الهالة النورية الواسعة ذلك هو القائم من آل مُحَمَّد صلوات الله عليه، ورأى أنواراً كثيرة تطوف حوله محدقة به فلما سأل قيل أنوار شيعته فلما سأل ما أوصافهم فحدثوه أن من أوصافهم أنهم يسجدون سجدة الشكر.

الروايات تقول إن إبراهيم عليه السلام لَمَّا جاءه ملك الموت في آخر لحظةٍ من لحظات حياته طلب منه أن يقبض روحه وهو يسجدُ سجدة الشكر تشبهاً بشيعة تلكم الأنوار إبراهيم يعيش في هذه الأجواء هذي أعلى رتبة وصل إليها إبراهيم الروايات هكذا حدثتنا عن الكشف الملكوتي لإبراهيم ونتحدث عن هذه المضامين إذا ما وصل الكلام إلى قصة إبراهيم عليه السلام ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ أمنحنا، أمنحنا الإحاطة الرؤيوية أو الرؤيا الإحاطية وذلك لا يعد بشيءٍ إلى مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد هذه من مقاماتهم التي تتجلى لهم في العالم الأرضي مقامات محمَّدٍ وآل مُحَمَّد لا يسعها لا نبيٍ مرسل ولا ملكٌ مقرب مقامات محمَّدٍ وآل محمَّد لا نملك ألفاظاً نعبر بها عنها ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا﴾ تبّ علينا نحن نرجع إليك وأنت ترجع إلينا أما كيف يرجع الله للعباد فذلك معنىً ربما أشارت إليه الأحاديث القدسية الأحاديث التي تحدثت وبينت كيف أن الله سبحانه وتعالى يسرع إلينا ألا تقول الأحاديث القدسية

- **عبدي تقدم إلي شبراً أتقدم إليك ميلاً** - هذا هو الرجوع - **عبدي تقدم إلي شبراً أتقدم إليك ميلاً** - معاني عميقة ولا يوجد مجال للدخول في تفاصيلها لكنني بقدر ما أتمكن أبين جوانب منها بحسب ما يسنح المقام في طوايا هذه البرامج.

﴿ وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ ﴾ رسولاً منهم من هذه الأُمَّة المسلمة أولهم مُحَمَّد أوسطهم مُحَمَّد وآخرهم مُحَمَّد بل كلهم مُحَمَّد حسينٌ مني وأنا من حسين عليٍ مني وأنا من علي، أنا عليٍ وعليٍ أنا، أنا مُحَمَّدُ ومُحَمَّدٌ أنا ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ ﴾ في هذه الأُمَّة المسلمة في هذه الأُمَّة المعصومة ﴿ وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ﴾ منهم أي من سنخيتهم كما مر علينا قبل قليل - ومن تبعني فإنه مني - ولذلك في سورة براءة لا يبلغها إلا أنت أو رجلٌ منك، فمن الذي بَلَّغ سورة براءة؟ ألم يعطها النبي لأبي بكر وهذي قضية معروفة في كتب السير والتأريخ ألم يعطها لأبي بكر، ثم أمر علياً بأن يدركه في الطريق ويأخذ منه السورة وبين ذلك الأمر: إن الله أمرني إما أن أبلغ السورة أنا - النبي - أو رجلٌ مني، فعليٌ رجلٌ منه ولا يوجد في الأُمَّة من ينطبق عليه هذا المعنى إما أنت يا مُحَمَّد أن تبلغ أو رجلٌ منك ذلك الرجل الذي منه هو عليٌ وهذه الدلالة واضحة.

﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ ﴾ من هذه الأُمَّة ﴿ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ وهل هناك من أحدٍ في هذه الأُمَّة جمع هذه المراتب حتى سلمان لم يكن قد جمع هذه المراتب ﴿ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ ﴾ الكتاب بكله واضح الكتاب بكله ما قال يعلمهم من الكتاب فمن الذين يعلمون الكتاب بكله؟! ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ ﴾ من الذين عندهم علم الكتاب؟! ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ الحكمة بكل مراتبها ويزكيهم فكل ما في آل مُحَمَّدٍ هو تجلياتٌ من محمَّد، مُحَمَّدٌ هو الأصل وآل مُحَمَّدٍ هم الفروع التي تجلت فيها أنوار محمَّدٍ صلى الله عليه وآله ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ هذه الأسماء: ﴿ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ﴿ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ ﴿ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ هذه الأسماء الحسنى أنا ما وقفت عليها لأن شرحها يحتاج إلى وقتٍ طويل لكن هذه الأسماء لا تتجلى إلا في الحقيقة المحَمَّدية بأجلى مراتبها ولذلك إمامنا الصادق يقول: **نحن الأسماء**

الحسنى والصفات العليا. الرواية في الكافي الشريف إمامنا هو يقول – **نحن الأسماء الحسنى** – هذه الأسماء الحسنى مجاليها الحقيقية في الحقيقة المُحَمَّدية في النور المُحَمَّدي الأعظم والحقيقةُ إني ما وقفت عليها لأن شرح هذه الأسماء يحتاج إلى وقتٍ طويل وإنما اكتفيت بما يظهر من دلالتها التي يفهمها المستمع.

﴿ رَبَّنَا وَابعَث فِيهِم رَسُولاً مِّنهُم يَتلُو عَلَيهِم آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكمَةَ وَيُزَكِّيهِم إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ * وَمَن يَرغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبرَاهِيمَ ﴾ ملة إبراهيم ما هي؟ ملة إبراهيم هي الملة التي مر الحديث عنها إن كان في موضوع الإمامة ﴿ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهدِي الظَّالِمِينَ ﴾ وإن كان الحديث عن المضامين والأجواء التي أشرت إليها في هذه الآيات ملة إبراهيم هي هذه ﴿ وَمَن يَرغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفسَهُ ﴾ وأشرت في الحلقة الماضية ماذا قال أئمتنا؟ قالوا بأن السفيه لن يكون إماماً للتقي وأجلى معاني السفاهة هي عبادة الأصنام ﴿ وَمَن يَرغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفسَهُ ﴾ الذي يرغب عن هذه الملة هؤلاء هم السفهاء والذين مرت إليهم الإشارة في أوائل سورة البقرة ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلا إِنَّهُم هُمُ السُّفَهَاء وَلَكِن لاَّ يَعلَمُونَ ﴾ هؤلاء هم السفهاء الذين أشارت إليهم هذه الآية، الآية الثالثةُ بعد العاشرة من سورة البقرة وقد شرحناها في حينها ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلا إِنَّهُم هُمُ السُّفَهَاء وَلَكِن لاَّ يَعلَمُونَ ﴾.

﴿ وَمَن يَرغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفسَهُ ﴾ هؤلاء السفهاء الذين يرغبون عن ملة إبراهيم ملة مُحَمَّدٍ وآل محَمَّد في مقابل هذه الملة ﴿ وَلَقَدِ اصطَفَينَاهُ فِي الدُّنيَا ﴾ الاصطفاء هو الاختيار اصطفينا إبراهيم ﴿ وَلَقَدِ اصطَفَينَاهُ فِي الدُّنيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ الصالحون هم الذين تمنى إبراهيم أن يقبض على شاكلتهم حين جاءه ملك الموت فهذه أعلى مراتب إبراهيم الأنبياء شيعة عليٍ وآل علي الأنبياء شيعة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد ألا تقول الروايات بأن الأنبياء وبأن شيعة أهل البيت خلقوا من فاضل طينة أهل البيت روايات مبسوطة وواضحة عن أئمتنا صلوات الله عليهم تتحدث عن خلقة الأنبياء والأوصياء وعن أشياعهم المخلصين عن أشياع أهل البيت أنهم خلقوا من فاضل طينة محَمَّدٍ وآل مُحَمَّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ﴿ وَلَقَدِ اصطَفَينَاهُ فِي الدُّنيَا ﴾ هذا الاصطفاء واضح اصطفاء الإمامة اصطفاء هذه الملة الشريفة

اصطفاء هذه الأجواء اصطفاء هذا المعنى ﴿وَاجعَلنَا مُسلِمَينِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ هذه كلها معاني الاصطفاء ﴿وَلَقَدِ اصطَفَينَاهُ فِي الدُّنيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ومع الصالحين الصالحون بالمعنى الحقيقي والدقيق هم مُحَمَّدٌ وآل مُحَمّد ولكن الحديث هنا عن الصالحين في كل مراتبهم لأن الصالحين في الآخرة مراتبهم كثيرة لذلك قلت بأن المراد من الصالحين هنا بحسب الروايات التي بينت آخر منزلة لإبراهيم أنه تشبه بتلكم الأنوار المحيطة بأنوار أهل البيت وهي أنوار شيعتهم.

﴿وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * إِذ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسلِم﴾ أسلم لا بمعنى الإسلام الفقهي أسلم بالمعنى الذي تحدثت الروايات عن القلب السليم ﴿إِذ جَاء رَبَّهُ بِقَلبٍ سَلِيمٍ﴾ القلب السليم هو القلب الذي ليس فيه إلا الله أسلم بقلبك ﴿إِذ جَاء رَبَّهُ بِقَلبٍ سَلِيمٍ﴾ الروايات تقول القلب السليم ما هو؟ هو القلب الذي ليس فيه إلا الله ﴿إِذ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسلِم قَالَ أَسلَمتُ لِرَبِّ العَالَمِينَ﴾ أسلمتُ، أسلمتُ بكل وجودي أسلمت بكل مداركي أسلمت بكل حقيقتي أسلمت بكل شأنٍ من شؤوناتي فتحولت إلى وجودٍ إلهي لأنه حين يسلم أين يكون؟ يكون وجوده في يد الله سبحانه وتعالى فيكون وجوداً إلهياً ﴿إِذ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسلِم قَالَ أَسلَمتُ لِرَبِّ العَالَمِينَ * وَوَصَّى بِهَا إِبرَاهِيمُ﴾ بأي شيءٍ وصى؟ الآية السابقة تحدثت ﴿وَمَن يَرغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبرَاهِيمَ﴾ فهناك ملة هذه الملة مر الكلام عنها شرحتها الآية التي بعدها ﴿إِذ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسلِم قَالَ أَسلَمتُ لِرَبِّ العَالَمِينَ﴾ أسلمت لرب العالمين أسلم وجودي فكان وجودي في يد الله سبحانه وتعالى صار وجوده إلهياً وهذا المعنى لا يتحقق إلا من الوجه الإلهي وهذا الوجه الإلهي الحقيقة المُحَمَّدية هذا المعنى لا يتحقق الإسلام لله سبحانه وتعالى هو الإسلام في الحضرة القدسية للحقيقة المُحَمَّدية.

﴿إِذ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسلِم قَالَ أَسلَمتُ لِرَبِّ العَالَمِينَ * وَوَصَّى بِهَا إِبرَاهِيمُ﴾ الآيات مترابطة بماذا وصى؟ إمامنا الباقر عليه السلام ماذا يقول؟ ﴿وَوَصَّى بِهَا﴾ **قال: ووصى بولاية علي.** هذا كلام باقر العترة ما هو بكلامي – قال ﴿وَوَصَّى بِهَا﴾ **قال: وصى بولاية علي.** والكلام مترابط ملة إبراهيم هي ولاية علي ﴿إِذ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسلِم﴾ إلى أي شيءٍ أسلم؟ ﴿أَسلَمتُ لِرَبِّ العَالَمِينَ﴾ الإسلام ولاية عليٍ وهذا المعنى

واضحٌ في روايات أهل البيت ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبرَاهِيمُ﴾ بأي شيءٍ وصى؟ وصى بولاية علي ﴿وَوَصَّى بِهَا﴾ كما يقول باقر العترة عليه السلام أنه وصى بولاية علي وصى بولاية أمير المؤمنين ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعقُوبُ﴾ أيضاً وصى ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبرَاهِيمُ بَنِيهِ﴾ من هم أبناءهُ؟ إسماعيل إسحاق وصية إبراهيم لبنيه لإسماعيل ولإسحاق ولأولادهم الابنُ ابنٌ وإن نزل الابن وابن الابن ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبرَاهِيمُ بَنِيهِ﴾ لإسماعيل وآل إسماعيل لولد إسماعيل ولإسحاق ولولد إسحاق ويعقوب أيضاً وصى إبراهيم وصى ويعقوب الذي هو حفيد إبراهيم أيضاً وصى وهذا هو ديدن الأنبياء كل الأنبياء كانت وصيتهم لأبنائهم لمن جاء من بعدهم وحتى لأممهم كأُمَة موسى الوصية بعليٍ وآل علي ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعقُوبُ﴾ ما هي الوصية ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾ اختار لكم الدين ما هو خيرة الدين؟ ما هو جوهر الدين؟ الآن لو أردنا أن نرجع إلى كلمات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ما هي جوهرة الدين؟

ولاية عليٍ جوهرة الدين ومر علينا في الحلقات الماضية كيف أن الحسن في القرآن الكريم والإحسان والحسنى هي ولاية عليٍ وكيف أن هذه الحسنة هي جوهر النجاة وحبّه حسنة لا تضر معها سيئة، حبّه حسنة لا تقاس بها الحسنات، حبّه لو كانت حسنة كبقية الحسنات لأضرت بها السيئات فإن السيئات قد تؤدي في بعض الأحيان إلى الإحباط إلى إحباط العمل في بعض الأحيان تؤدي السيئات إلى محق الحسنات لكن ما هي هذه الحسنة التي لا تضرها سيئة، لأن هذه الحسنة تختلف عن بقية الحسنات وبغضه سيئة لا تنفع معها حسنة أي سيئةٍ هذه لا تشابهها سيئة لأن السيئات، الحسنات يذهبن السيئات هذا قانون الحسنات يذهبن السيئات فهذه أية سيئة لا تستطيع الحسنات أن يذهبن بها السيئة هي بغض عليٍ وبغض عليٍ ما هو سوءه؟ هو عدم ولاية عليٍ كما يقال بأن الشرور هي حدود عدمية لا أريد الدخول في هذه القضية الفلسفية لكن المراد من حقيقة بغض عليٍ هو عدم ولاية عليٍ حين تغيب الولاية ماذا يأتي؟ يأتي البغض يأتي الإنكار والبغض والإنكار حدٌ عَدَمي والولاية حدٌ وجودي فهذه السيئة التي لا تنفع معها حسنة هذه سيئة غير كل السيئات وهذه الحسنة التي لا تضر معها سيئة هذه حسنة غير كل الحسنات هذه الحسنة ولاية عليٍ والسيئة هي عداوة عليٍ.

﴿وَوَصَّى بِهَا إِبرَاهِيمُ﴾ كما يقول باقر العترة: بعليٍ وولاية عليٍ ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسلِمُونَ﴾ الإسلام الذي مرت الإشارة إليه وليس الإسلام الفقهي

﴿ رَبَّنَا واجعَلنَا مُسلِمَينِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسلِمَةً لَّكَ ﴾ ﴿ إِذ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسلِم قَالَ أَسلَمتُ لِرَبِّ العَالَمِينَ ﴾ ﴿ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسلِمُونَ ﴾ لا تموتن إلا وأنتم مسلمون الإسلام الذي تقدم الكلام عنه وليس الإسلام الفقهي.

﴿ أَم كُنتُم شُهَدَاء إِذ حَضَرَ يَعقُوبَ المَوتُ ﴾ يعقوب هنا مفعول به والموت فاعل لذلك يعقوب منصوبة يعني إذ حضر الموت يعقوب ﴿ أَم كُنتُم شُهَدَاء إِذ حَضَرَ يَعقُوبَ المَوتُ ﴾ يعني لَمَّا حضر الموت عند يعقوب ﴿ أَم كُنتُم شُهَدَاء إِذ حَضَرَ يَعقُوبَ المَوتُ إِذ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعبُدُونَ مِن بَعدِي ﴾ ما هي عبادتكم باعتبار العبادة هي أبرز صورة من صور الدين العبادة تمثل الحالة النفسية والمعنوية لحقيقة العقيدة لذلك سؤال مختصر ﴿ مَا تَعبُدُونَ مِن بَعدِي ﴾ لم يقل ما هي عقيدتكم لم يقل ما هي تفاصيل دينكم سأل عن الجوهر عن القمة ﴿ مَا تَعبُدُونَ مِن بَعدِي قَالُوا نَعبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبرَاهِيمَ وَإِسمَاعِيلَ وَإِسحَقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحنُ لَهُ مُسلِمُونَ ﴾ مسلمون بالمعنى المتقدم، نعبد إلهك وإله آبائك الكلام مع يعقوب، إبراهيم هو جده إبراهيم أبنه إسحاق وإسحاق أبنه يعقوب، يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الآية هنا تحدثت عن أن إبراهيم هو أبٌ ليعقوب فإذاً الأب يطلق على الجد من جهة الأب ويطلق على الأب وأيضاً أطلقت على إسماعيل وإسماعيل عم، إسماعيل هو عم يعقوب ﴿ قَالُوا نَعبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبرَاهِيمَ وَإِسمَاعِيلَ وَإِسحَقَ ﴾ هنا آباء جمع والمفرد أب من هم هؤلاء الآباء إبراهيم جد وإسماعيل عم وإسحاق هو والد ومن هنا إبراهيم هو أبٌ لمحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله لأن الجد من جهة الأب وإن علا وحتى الجد من جهة الأم يقال له أب الجد من جهة الأم يعني مثلاً نحن حينما نقرأ في سورة النور ﴿ وَقُل لِّلمُؤمِنَاتِ يَغضُضنَ مِن أَبصَارِهِنَّ ﴾ إلى أن تقول الآية ﴿ وَلَا يُبدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَو آبَائِهِنَّ ﴾ آبائهنَّ هنا جمع للأب الذي هو من جهة الأب وللأب الذي هو من جهة الأم يعني للجد من جهة الأب وللجد من جهة الأم ولذا الحسن والحسين نقول بأن رسول الله والدهم وهذا هو التعبير القرآني في سورة النور هذا الخطاب لعامة الناس هذا الحديث لا يقال بأن رسول الله والدٌ للحسن والحسين هذي مسألة أو حالة خاصة بالحسن والحسين أبداً هذه سورة النور والخطاب عن عامة المؤمنين الخطاب عن عامة المؤمنات ﴿ وَقُل لِّلمُؤمِنَاتِ يَغضُضنَ مِن أَبصَارِهِنَّ ﴾ ﴿ وَلَا يُبدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَو

﴿آبَائِهِنَّ﴾ ما المقصود من آبائهن هنا؟ أو آبائهن الأب الذي هو الوالد والذي فوقه وهو أب الوالد الجد من جهة الأب وكذلك الجد من جهة الأم يدخل في آبائهن لأنه لا يوجد ذكر لجد الأم للجد من جهة الأم في الآية فكلمة آبائهن تشمل الأب الوالد والأب الجد من جهة الوالد والأب الجد من جهة الأم لذلك رسول الله هو أب الحسن والحسين لا في قضية خاصة، خاصة بالحسن والحسين وإنما هذا هو الاستعمال القرآني وهنا الاستعمال القرآني أيضاً وحتى في قضية آزر فهو ليس أباً لإبراهيم وإنما استعملت كلمة أب لأنه كان عماً لإبراهيم وهنا استعمل الأب في إسماعيل فهو أب أيضاً فالعم أب ويقال العم والد في كلمات العرب.

﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ فإسماعيل أبٌ ليعقوب مع أنه في الواقع هو عمه فهذا الاستعمال القرآني لذلك آزر لم يكن والداً لإبراهيم لأن الأنبياء لابد أن يكون آبائهم موحدين هكذا نحن نعتقد آزر لم يكن أباً حقيقياً لإبراهيم وإنما كان عماً له والعم بحسب التعبير القرآني فإنه أب.

﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ هذا الكلام لمن؟ هذا الكلام لمن يستمع إلى القرآن هذا الكلام لمن يقرأ القرآن هذا الكلام لنا لأن الآيات السابقة تحدثت عن إبراهيم وبنيه فماذا وصفت إبراهيم وبنيه بأنهم أُمَّة هذا أيضاً استعمال قرآني لكلمة الأُمَّة في مجموعة قليلة من الناس وهذا يفسر معنى كلمة أُمَّة في الآيات التي جاءتنا قبل قليل مرت علينا ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً﴾ هم مجموعة قليلة هذي هنا الآية وهي الآية الرابعة والثلاثون بعد المئة تؤيد المعنى السابق الذي ذكرته ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ مضت، من هم هؤلاء الأُمَّة التي مضت؟ إبراهيم وبنوه إسحاق إسماعيل يعقوب أولاد يعقوب هذه المجموعة القليلة التي تقدم الحديث عنها لأن الآيات السابقة كانت في أجواء أسرة إبراهيم ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ قد مضت ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ هذا قانون ما هو هذا القانون؟ ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ الإنسان رهينُ عمله الإنسان رهينُ فكره ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ هذا الكلام للذين يقرأون القرآن وكذلك هذا الكلام في نفس الوقت يوجه لليهود وللنصارى لأننا لا زلنا في سياق الحديث عن اليهود والنصارى الذين قالوا بأن إبراهيم كان يهودياً والذين قالوا بأن إبراهيم كان نصرانياً القرآن يقول إبراهيم وولده ﴿أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَّا كَسَبْتُمْ

﴿وَلَا تُسأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعمَلُونَ﴾ إنما تسألون عما أنتم تعملون، الآية التي بعدها وهي الآية الخامسة والثلاثون بعد المئة ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَو نَصَارَى تَهتَدُوا﴾ من الذين قالوا؟ اليهود قالوا كونوا هوداً كونوا يهوداً والنصارى قالوا كونوا نصارى ومر علينا فيما تقدم من الآيات، الآيات التي تحدثت فقالت بأن اليهود هم الذين يدخلون الجنان ﴿وَقَالُوا لَن يَدخُلَ الجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَو نَصَارَى﴾ مر الكلام في مثل هذه المضامين في الآيات المتقدمة من سورة البقرة ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَو نَصَارَى تَهتَدُوا﴾ أن الهداية بحسب رؤية اليهود أن يتهود الإنسان وبحسب رؤية النصارى أن يتنصر الإنسان وقد مر علينا ﴿وَلَن تَرضَى عَنكَ اليَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُم﴾ الآية العشرون بعد المئة ﴿قُل إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعتَ أَهوَاءَهُم بَعدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ العِلمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ وَلَئِنِ اتَّبَعتَ أَهوَاءَهُم: إنما ديانتهم الهوى ديانتهم ومعتقداتهم قد بنوها على الأهواء.

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَو نَصَارَى تَهتَدُوا﴾ الهداية في إتباعهم ماذا نقول؟ ﴿قُل بَل مِلَّةَ إِبرَاهِيمَ﴾ ملة إبراهيم الملة التي ما نسخت ملة إبراهيم هنا سؤال أليس الديانات ينسخ بعضها بعضاً ألم تأتي اليهودية فنسخت ما قبلها ثم جاءت النصرانية فنسخت اليهودية ثم جاء الإسلام فنسخ النصرانية أليست الديانات السابقة بعضها ينسخ البعض الآخر، ألم تكن الديانة الإبراهيمية قبل الديانة اليهودية، لماذا ما نسخت؟ لأن جوهر الديانة الإبراهيمية الجوهر الحقيقي للديانة الإبراهيمية هو الجوهر الحنيفي والحنيفية تعني ولاية مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، الحنيفية تعني الاستقامة ﴿قُل بَل مِلَّةَ إِبرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ حنيفاً يعني مستقيماً لا اعوجاج فيه طبعاً كلمة حنيف من الألفاظ في اللغة العربية التي تحمل معاني متضادة ربما تستعمل كلمة حنيف في بعض الأحيان بمعنى الاعوجاج والانحراف والميلان ولكن حنيف هنا المراد منها الاستقامة ﴿قُل بَل مِلَّةَ إِبرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ المُشرِكِينَ﴾ هنا تعريض بأن الديانة اليهودية ديانة تتجه باتجاه الشرك وبأن الديانة النصرانية ديانة تتجه باتجاه الشرك أن الشرك قد خالط هذه الديانات ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَو نَصَارَى تَهتَدُوا﴾ ما هو الجواب؟

﴿قُل بَل مِلَّةَ إِبرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ المُشرِكِينَ﴾ . إنما أنتم مشركون يا معشر اليهود ويا معشر النصارى

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ هنا انقطاع في الكلام ﴿وَقَالُوا﴾ من الذين قالوا؟ ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ اليهود قالوا والنصارى قالوا ما هو الجواب؟ ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ هذا القُل هنا خطابٌ للنبي، ثم ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ ربما يقول المفسرون ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ الكلام هنا موجه للمسلمين لأتباع النبي في روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ﴿قُولُوا﴾ يا آل مُحَمَّد ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ ما أنزل إلى آل مُحَمَّد ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ الأسباط في روايات أهل البيت هم أولاد يعقوب وما كانوا من الأنبياء كانوا من الصالحين كانوا من الأولياء لأن الأسباط ما كانوا أنبياء ما كانوا معصومين هناك من المفسرين من فسر الأسباط المراد من الأسباط يعني قبائل اليهود الأسباط الاثنا عشر وما بعث الله من الأنبياء إليهم ولكن هذا المعنى فيه شيء من التكلف المراد من الأسباط هم أولاد يعقوب وما كانوا من الأنبياء ولذلك ما أنزل إليهم ما أنزل إلى الأسباط فهناك إنزالٌ حتى على غير الأنبياء وهذا يؤيد المعنى الموجود في أول الآية ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ ما أنزل إلى آل مُحَمَّد لأن الروايات تقول هذا الخطاب لآل مُحَمَّد فما أنزل لآل محمَّد ما أنزل إليهم بشكلٍ خاص ونفس الآية تقول أن هناك إنزال أنزل على الأسباط وهم أولاد يعقوب وما هم بأنبياء فهل أن الأسباط أفضل من آل مُحَمَّد؟! الأسباط ينزل عليهم وآل مُحَمَّد لا يُنزَل عليهم؟!

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ الروايات تقول هذا الخطاب بشكلٍ مباشر لآل مُحَمَّد ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ يا آل مُحَمَّد ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ ما أنزل إليهم بشكلٍ خاص ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ الذين هم وِلدُ يعقوب ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ﴾ جاء الذكر هنا لموسى وعيسى باعتبار الكلام في جو الرد على اليهود والنصارى ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنهُم: من جهة نسبتهم إلى الله لا من جهة مراتبهم قطعاً الأنبياء والأولياء مراتبهم مختلفة علومهم مختلفة درجاتهم في العلم مختلفة درجاتهم في اليقين مختلفة في اليقين النبوي ليس هو كاليقين الذي قد يكون عندي وعند غيري من عامة الناس اليقين النبوي شيءٌ آخر العلم النبوي شيءٌ آخر البصيرة النبوية شيءٌ آخر وقد تقدم قبل قليل الكلام عن الإراءة الإحاطية أو الإحاطة الرؤيوية.

﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ من جهة استقامتهم ومن جهة انتسابهم إلى الله وإلا أما فيما بينهم هناك فوارق كبيرة ﴿قُولُوا﴾ يا آل مُحَمَّد ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ من جهة النسبة إلى الله وإلا هناك فوراق في المنازل وفي الدرجات ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ مسلمون لا بالمعنى الفقهي وإنما بالمعنى الذي تقدم من معنى الإسلام أن ذواتهم قد أسلمت لله رب العالمين ﴿فَإِنْ آمَنُوا﴾ من الذين أمنوا؟ يعني عامة الناس عامة الخلق ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا﴾ بما فيهم اليهود والنصارى ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ﴾ وبأي شيءٍ آمنوا؟ بالملة الإبراهيمية وما جوهر الملة الإبراهيمية؟ ولاية عليٍ وآل علي وما جوهر ولاية علي؟ إنها ولاية محمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ في شقاق في ظلال في ابتعاد عن طريق الحق ﴿وَّإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ وفي بعض الروايات قال الشقاق هنا الكفر ﴿وَّإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ في كفر ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ الله سبحانه وتعالى هو الكافي هو الذي سيخلصكم من هؤلاء فإن آمنوا بشكلٍ عامٍ الناس وبما فيهم اليهود والنصارى ﴿بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ما هو هذا الشيء الذي تتحدث عنه الآية هذه والتي قبلها ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا﴾ ما هو هذا الشيء؟ الآية التي بعد هذه الآية تبين لنا هذا المعنى ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ هؤلاء نفسهم الذين قالوا ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ هم الذين يشرحون لنا هذه العقيدة وهذا الدين ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا﴾ ما هو هذا الشيء الذي إذا آمنوا به فقد اهتدوا؟! ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ صبغة الله جاءت منصوبة هنا يعني صبغة الله يعني هذا الشيء الذي إذا آمنوا به اهتدوا يعني صبغة الله، صبغة الله هنا مفعول به صبغة الله لفعلٍ مقدر محذوف تقديره يعني، يعني صبغة الله ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ الروايات

تقول – **صبغة الله ولاية عليٍ صلوات الله وسلامه عليه** – هذا من العناوين هذا من الأوصاف لولاية عليٍ في الكتاب الكريم صبغة الله، صبغة الله يعني علياً يعني ولاية علي يعني ولاية مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

﴿ صِبغَةَ اللّهِ وَمَن أَحسَنُ مِنَ اللّهِ صِبغَةً وَنَحنُ لَهُ عَابِدونَ ﴾ هذه الصبغة هي المراد منها ولاية عليٍ وآل علي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، إذاً الشيء الذي يتحقق به الهدى وتتحقق به الهداية هو ﴿ صِبغَةَ اللّهِ وَمَن أَحسَنُ مِنَ اللّهِ صِبغَةً ﴾.

اللَّهُمَّ إنا نسألك بحقِّ عليٍّ وآل علي أن تجعلنا من أولئك الذين يؤمنون بهذه الصبغة، أن نموت على هذه الصبغة وأن نحشر مع هذه الصبغة أن نحشر مع عليٍ وآل عليٍ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولقاءنا يتجدد إن شاء الله تعالى في الحلقة القادمة من برنامج قرآننا على مودة عليٍّ وآل علي أسألكم الدعاء في أمان الله.

وفي الختام :

لا بُدّ من التنبيه الى أنّنا حاولنا نقل نصوص البرنامج كما هي وهذا المطبوع لا يخلو من أخطاء وهفوات فمن أراد الدقّة الكاملة عليه مراجعة تسجيل البرنامج بصورة الفيديو أو الأوديو على موقع زهرائيون.

مع التحيات

المُتابَعة

زهرائيون

1433 هـ